وخُتمتْ الآية بتقرير الحقيقة والصواب، ألا وهو: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: قضاؤهم وقدرهم عند الله، والله هو المتفرد بجلب الخير ودفع الضر، ولكنَّ بصائرهم مسدودة، وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة، وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة.

15- قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].

قال المفسرون: (وما تكون في شأن) أي في أمرٍ من عظائم الأمور، (وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) أَيْ وَمَا تَتْلُو مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الشَّأْنِ مِنْ قُرْآنٍ أُنْزِلَ عَلَيْكَ، لتدبر شؤون المؤمنين، في الدعوة ونشر رسالتك[1].

من خلال الآية أخالُ أن النبي ﷺ كان يطوف على الجنود يتلو عليهم القرآن، ويوجههم بتوجيهاته، ويسير بين العساكر يرصُّ صفوفهم، ويشدُّ عزائمهم، ويرفع همَّتهم، وينذرهم ويبشِّرهم بالقرآن، فالنبيُّ ﷺ يستزيدُ من غيث القرآن، وبعدها يُفيض على الصحابة المجاهدين بما عنده من نور القرآن.

اللهَ اللهَ فيما يفعله القرآن في قلوب المجاهدين، إنَّ أحد الإخوة بيننا من أصحاب الأصوات الندية لو استهل ب «بسم الله الرحمن الرحيم» انخفض كلُّ الضجيج، وعلا صوت القرآن فوق كل صوت، إنَّها الأمان، إنَّها «بسم الله الرحمن الرحيم»، كلمةٌ سماعُها يُوجب شفاءَ كلِّ عابدٍ، وضياءَ كلِّ قاصدٍ، وعزاءَ كلِّ فاقدٍ، وهدوءَ كلِّ خائفٍ، وأمانَ كلِّ تائبٍ، وبيانَ كلِّ طالبٍ،

(1) انظر: معاني القرآن للزجاج (26/3)، والتفسير الوسيط (109/4)، وأيسر التفاسير (485/3)، وزهرة التفاسير (360/7).